🕮 (ظاهرة قلة الكوادر والكفاءات العلمية والدعوية) :

كثرة الرّاغبين في العلم الشرعي ومحبي الثقافة

✍ لا يستطيع المرءُ أن ينكر حُبَّ كثيرٍ من المسلمين للعلم، وشعورَهم بقيمته وفضلِه وأهميته ، ورغبتَهم الشديدةَ في أن يكونوا من طلابِ علم الشريعة، ومن المشاركين في الدعوة والإصلاح

وشعورَهم بالمسؤولية، وأسفَ كثير منهم على مظاهر ضعف الأمة وانتشار الجهل والشبهات وكثرة دعاة الباطل.

وأنت ترى شروعَ كثيرٍ منهم بالفعلِ في سلوكِ ذلك الطريقِ وتلمُّسِ الخُططِ والبرامجِ والمناهجِ، والتواصلِ مع من يثقون به من أهل العلم ليرسم لهم طريقا لتحصيل العلوم

وقد بدء كثير منهم في الدراسة واقتنوا الكتبَ بأفضل النُّسخِ، واقتطعوا من مالهم ووقتهم للتحصيل.

وترى آلاف بل مئاتَ الآلاف من الطلاب في الجامعاتِ والمعاهدِ الشرعيةَ، فضلا عمّن يدرُسُ على المشايخِ في المساجد، ومن يمارسون التعلُّمَ الذاتيَّ بأنفسهم قراءةً ومطالعة وسماعا ومُدارسة جماعيةً ونحو ذلك من سبل التحصيل وغُرفًا ومجموعاتٍ على الفيس بوك واوتس أب وتليجرام وغيره من وسائل التواصل ويقصدون من تواصلهم طلبَ العلمِ الشرعي

كثرة المُقومات التي تعينُ على تحصيل المعرفة وتنوّعها وتوفّرها

ترى جامعاتٍ ومعاهدَ وحلقاتٍ في كلّ بلدانِ العالِم موضوعُها تحصيلُ العلوم الشرعية

مواقعَ على الإنترنت في كل العلوم، وأبوابها ومسائلها ودقائقها مليئةً بالمواد المسموعة والمرئية والمقروءة

وداعمين أهلَ خيرٍ قد بذلوا أموالهم ورصدوها لإعانة المعاهد والجامعات والحلقات وكفالة طلاب العلم ابتغاء إعدادِ طلابِ علمٍ ودعاةٍ يبثون العلم بين الناس ويُبصرونهم بدينهم ويُفتونهم فيما يحتاجونه من أمر دينهم وما ينزلُ بهم من نوازل دينية .

و غيرَ ذلك من المقومات التي هي جديرةٌ بإخراج أعداد كبيرة من النابغين في مختلف مجالات التعليم والدعوة والإصلاح، وفي مختَلف التخصصات بحيث لا يبقى بابٌ مما يحتاجه المسلمون إلا وجدوا فيه الكفاءاتِ الكثيرةَ التي تسُد الحاجة وتزيد

لكنّ الواقعَ غيرُ ذلك

فإن الذي يلفتُ النظر – وينبغي أن يلفته–

أنّه مع كثرةِ مقوماتِ النجاح وقوتِها وتنوعِها لإخراج الكفاءات في المجال العلمي والتعليمي والدعوي = فإنّ الواقع يشهد بخلاف ذلك

يشهد بقلّةٍ بل بنُدرة الكفاءات في المجال العلمي في مختلف تخصصاته:

سواءٌ في ذلك علومُ المقاصدِ كالتفسيرِ وشرحِ السنةِ والعقيدةِ والفقهِ

أو في العلومِ التي تُسمّى بعلوم الآلة :كأصول التفسير وأصول الفقه وعلوم العربيّة وعلم مصطلح الحديث وعلم المنطق

أو في العلوم الإنسانيّة التي تتقاطع كثيرا مع أبوابٍ في العلم الشرعي كالفكر والفلسفة وتاريخ العلوم والأفكار السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيره

وفي المجال الدعوي بمختلف صوره كدروسِ الوعظِ وخُطبِ الجمُعة ودروسِ المساجد وتوعيةِ الناس بفقه المواسم (الصيام، الحج، العيد ... ونحوِه، وتبصير الناس عند الفِتن وتثبيتهم ونحو ذلك من مهام الداعي العالم.

ما المقصود بقلة النوابغ والكفاءات :

وبالتأكيد فإني إذ أذْكُرُ قلة النوابغ فإني لا أعني بالنبوغ : مجردَ عدد ما قرأ من الكتب، وحفظ من المتون، وجمع من معلومات

إنما أتحدّث عن منظومةٍ كاملةٍ هي محصلةُ الطلب، ومعيار تقييمه، وميزانه الذي يُوزن به، من :

ترقي الطالبِ وظهورِ أثر ذلك في:

تزكية النفس وسلامة القلب والاجتهاد في العبادة: فرائضها ونوافلها .

وكمّ المعلومات .

وكم المهارات التي يُحسنها من حُسن قراءةٍ وفهمٍ ونظرٍ واستدلالٍ ومنطقٍ وعرضٍ وتقريرٍ ومناقشةٍ ونقدٍ وكتابةٍ وتدقيقٍ وإبداعٍ علمي وإضافة.

ومن ذلك:

أثرُ الانتفاع بعلمه من شرح وتعليم ودعوة وإصلاح وغير ذلك من مقاصد العلم

& هذه مُخرجات الطلب وآثار العلم:

- **العلمُ** الذي يعلم به صاحبه الحقّ فيؤمنُ به فيخبتُ له قلبُه
- **العلمُ** الذ يخِر صاحبه لله تعالى ساجدًا يبكي ويزيدُ خشوعا
- **العلمُ** الذي يُبصر به صاحبُه الفتنةَ وهي مُقبلة فيعلمُ ويُعلّم: أن ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحا وهو خير من زخرف الدنيا الذي أوتي قارون

وإذا رقّع علماءُ السوء دنياهم بدينهم وفرحوا بهدايا الدنيا وزُخرفها =فهو ثابت مستمسك ، لا يجعل نفسه وعلمَه سلعة تُشترى، بل يقول لكل من يساومه على شيء منه ويبذل له العطايا: ما أتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

- **العلمُ** الذي يُغني صاحبَه عمّا في أيدي الناس فلا يَمدُّ عينيه إلى مما مُتعوا به، ويعلم أن رزق الله خير وأبقى
- **العلم** الذ يجعله يُحبّ الخير لإخوانه ولا يجدُ في صدره حاجة مما أُوتوا، ويتعلم منهم، ويُعلم، ويطلب نصحَهم ويقبلُ، ويشهد لهم بما فيهم من خير ويُقدّمهم ويعلم أنهم سندُه
- **العلمُ** الذي يزيد به العبد رحمة بالخلق
- **العلمُ** الذي يصير صاحبه به من خير أمة يدعو ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
- **العلم** الذي لا ينقطع ثوابُ صاحبه، ولا يزال يُحدِث له حسناتٍ وهو في قبره

العلم الذي يُخشى به اللهُ

- إنه ذاك العلمُ الذي يسلك بصاحبه خطوات إلى الجنة

وهو **العلم** الذي أمر الله نبيه أن يسأله الزيادة منه

وقل رب زدني علما

فنُدرة الكفاءات في كل هذه المجالات بالنسبة للمال والجهد المبذول فيه وبالنسبة لحاجة الناس أمرٌ واضحٌ ظاهرٌ لا أحسبُ أحدا يُخالف فيه إلا مَن لا يعي معنى الكفاءة والتخصص حقّ الوعي

أو مَن يغترُّ بالصور، أو بالألقاب والشهادات ونحوها

أو من يغترّ بكثرة الجامعات والمعاهد وكثرة طلاب العلم = فيظنُّ ذلك دليلا على عكس ما أقول.

& تحليل الظاهرة

نحن أمام ظاهرةٍ ينبغي الوقوفُ عندها وتصورُها وتحليلُها والبحثُ عن أسبابها ومحاولة علاجها
ومن الخطأ كبير هنا، وعند حلّ أي مشكلة: أن نُرجِع سببَ الإخفاق أو القصور إلى عامل واحدٍ من أفراد المنظومة أعني منظومةَ التعليم
وكثيرٌ ممن يريد البحثَ عن حلول ينظر في طرف واحد ويجعله يدفع فاتورة الحساب وحده
والذي ظهر لي بعد ممارسة طويلة واختلاطٍ بمئات الطلاب مُدارسة وتدريسا وزمالةً وصداقة – سواءٌ منهم من يتعلمون في جامعات أو معاهد أو مع المشايخ أو يمارسون التعلم الذاتي ، وباطلاعي وعملي مع كثير من المعلّمين والمعاهد والدّاعمين لهذه المشاريع .

& أقول:

إنّ هذا الإخفاقَ وهذه النتائجَ القاصرةَ عن تلك الإمكانات لا ترجع إلى قصور عضو واحد من هذه المنظومة بل يشترك فيه الجميعُ، لكلٍ منهم نصيبٌ، وهم جميعا جزء من تلك المشكلة
الطالبُ، والمعلمُ ، ومنهجُ التدريس، وبرنامجُ الدراسة، والإدارةُ، والداعمُ لمثل هذه المشروعات، ومنهجُ التقييم ومعيارُ النجاح وغير ذلك من مفردات المنظومة .
ولا يُبرّؤ الإنسان نفسه من التقصير بلا شك
ولا يزال العبدُ بخير ما جعل الحقَّ والخير مقصودَه، واجتهد في طلبه، وطلب النصح والتصحيح، وأحَبّ الناصحين، ولم يستنكف من الاعتراف بالغلط، ولم يترفّع عن التصحيح ، وما دام لم يزل يُطورُ نفسه، ويبحث عن الأحسن والأفضل .
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إني والله إن شاء الله لا أحلفُ على يمينٍ ثم أرى غيرَها خيرا منها إلا كفَّرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير))
و اللهُ تعالى لا يضيعُ أجر المحسنين، وهو في عون العبد ما خطا في طريق التصحيح خطوات
قال الله تعالى ((واللذين جَاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا وإنَّ الله لمع المحسنين))
وسأبدأ في الحديث إن شاء الله عن أهم عضو في منظومة التعليم (الطالب) مُحاولا ذكر أهم أسباب القصور والتقصير عنده التي تحول بينه وبين النبوغ .

!!!

B

✍ كتبها
حسين عبد الرزاق